الباب الثلاثون

(فترة الباشا على بن عبد الله التلمسانى)

وقد تقدم التاريخ الذى تولى فيه الباشا على بن عبد الله التلمسانى ، وتولى ضحوة الأربعاء الخامس عشر من شعبان المنير فى العام الحادى والعشرين بعد ألف . ومن حين تولى تبدّلتْ الأمور ، وتغيرتْ الأحوال ولا ترى إلا الحوادث والبدع إلى هلم جرا .

ولما بعث أبو محلى سيد أحمد بن عبد الله السورى القائم كتابه لأهل تنبكت بعدما طرد الأمير مولاى زيدان بن الأمير مولاى أحمد رام الباشا على بن عبد الله من الجيش الذين بحاضرة تنبكت أن يبايعوه ليكون أميرًا فأجابوه إلى ذلك ، وساعفوه[1] عليه .

ثم بعد ما خرجوا من عنده راجع إليهم عقولهم فندموا على ما صدر منهم من الإجابة والإسعاف وأبوا وامتنعوا ، ولما لم يجد منهم مراده ذلك رفض بيعة الأمير مولاى زيدان ، وبايع القائم السورى فبايعه الجيشُ فى بيعته ، وتبعهم أهل جنى فى تلك البيعة إلى ستة أشهر ، فورد الخبرُ بقيام سيد يحى السوسى على السورى فقتله .

وبعث الأمير مولاى زيدان أنْ يرجع إلى داره فى سلطنته فرجع ، فبادر أهل جنى إلى الإنكار على أهل تنبكت ، حيث رفضوا البيعة التى فى أعناقهم من قديم عصر[2] باطلاً وخالفوا عليهم مخالفة شديدة ، فتابعهم أهل كاغ ، وهم ما زالوا على بيعة الأمير وما تحولوا عنها بحال فخاف منها أهل تنبكت ، ورجعوا إلى البيعة المرفوضة فجددوها فتبقى ذلك جناية كثيرة على الباشا المذكور ، حتى أخذه بها الأمير فى آخر الدهر أخذاً شديداً ، وصار العمالُ فى أيامه ظالمين ، حائرين ، مفسدين فى الأرض من كلِّ جهة ومكان .

(حوادث عام ١٠٢٤ هـ)

وفى أيامه جاء غرابٌ أبيض فى تنبكت وانكشف أمرُه للناس فى ثانى وعشرين يوماً من ربيع الأول عام الرابع والعشرين بعد الألف ، رأوه عياناً إلى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من جمادى الأول ، قبضه الأطفال وقتلوه .

---

(١) ساعفوه : مدوا إليه العون والمساعدة .

(٢) من قديم عصر : أى قديم الزمان .

(حوادث عام ١٠٢٥هـ)

وفى العام الخامس والعشرين بعد ألف زاد البحر على عادته زيادة لم ير أحدٌ مثلها قط ، والتفت جميع الأشياخ المعمرين يومئذ على أنهم لم يروا مثلها فى الكثرة ، ولا رأوْا منْ رآها ، فغلبت على المزارع وأفسدتْ زروعها ، وأغرقت كثيراً من بلاد المغرب فى ناحية جنى ، ومات خَلقٌ كثيرٌ فيها من الآدميين والبهائم . وفى هذا العام وقع البحر فى معدك ليلة الاثنين لأحد عشر خلتْ من ذى القعدة ، وذلك يوم إحدى عشر من نوفمبر [١] .

(حوادث عام ١٠٢٦هـ)

وفى شهر المحرم الحرام فاتح عام السادس والعشرين والألف وقع بينه وبين القائد حد بن يوسف الأجناسى مفاضة واختلاف فارتحل من القصبة ، وخرج منها وسكن خارجها مع المختارين من أهل سرية المراكشيين نحو ثلاثة وثمانين رجلاً كلهم على بنية واحدة ، ورأى واحد فى التصافى معه .

ويحرسونه ليلاً ونهارًا ، فدخل أمره فى النزول والنقصان حتى خلع فى يوم الاثنين الخامس من شهر الربيع النبوى فى العام المذكور ، ومكث فى السلطنة خمس سنين غير شهرين .

فتولى المقام يوم خلعه باتفاق الجيش كله الباشا أحمد بن يوسف العلجى ، فكتبوا عليه للأمير مولاى زيدان بعدما سجن ، ووثقه فى الحديد ، وبيّنوا له تعدياته ، وقبيح أفعاله وما اجتازه من مال السلطان دون الأمين ، فصرفه الأمير فى أمره فى العام القابل ، كما سيأتى إنْ شاء الله تعالى .

وبقيتْ الحوادث تزداد ولا ترى فى مستقبل الزمان إلا ما هو أكبر من أختها ، وحبس المطر فى هذا العام فخرج الناسُ للاستسقاء ، وبقوا فيها نحو أربعة عشر يوماً لا تزداد السماءُ إلا صَحوًا ، ثم سقوا قليلاً ، فكان فيه غلاء مُفرط فى أرض تنبكت . مات فى المجاعة خلقٌ كثيرٌ فأكل الناس ميتة البهائم والآدميين . ونزل الصرف إلى خمسمائة ودعًا .

---

(١) نوفمبر : المقصود به شهر نوفمبر .

(استمرار الكوارث فى سنغاى)

ثم صار وباء ، فمات فيها كثيرٌ من الناس بغير جوع ، واستمر الغلاء إلى سنتين ، وفرغ المالُ من أيدى الناس ، وباعوا أثاثهم وأمتعتهم ، واتفق الشيوخ على أنهم لم يروْا مثله قط ، ولا سمعوا بمثله من الأشياخ قبلهم .

(زلزال يضرب مدينة تنبكت)

وفى يوم الخميس سلخ ذى الحجة مكمل العام المذكور وقع البحر فى معدك . وذلك ثامن عشر من دجنبر . وفى يوم الأحد الثانى والعشرين من شهر صفر عام السابع والعشرين بعد العصر سمع أهل تنبكت صوتاً فى جو السماء نحو المشرق مثل الرعد الذى يتكلم من بعد لأجل غلظة فى السماع حتى حس بعض الناس لزلزلة الأرض .

ووقع الرعبُ والفزع فى أهل السوق فهربوا وانتشروا ، وحدثنى منْ أثق به من الإخوان أن ذلك الحال وجده قاعدًا تحت الشجرة خارج البلد نحو مسافة يوم عنه ، فتحركتْ الأرض تحته وخرَّتْ الأشجار ، وخرجت الحشرات من جحورها ، ثم سكتتْ الزلزلة فعادت الأشجار إلى حالها ، والحشرات إلى الجحور .

وفى يوم الثلاثاء سلخ الربيع النبوى من هذا العام ، جاء الفتى الباشا عمار ، والقائد مامى التركى من عند الأمير مولاى زيدان فى محلة فيها نحو أربعمائة رام . والأمين القائد محمد بن أبى بكر ، فنزلوا إبراز وقت الضحى من ذلك اليوم.

وفى عشيته جاءهم الباشا أحمد بن يوسف للسلام عليهم ، وكذلك فقهاء البلد وأعيانها ، فاستهل عليهم شهر ربيع الثانى ليلة الأربعاء ، أما الباشا عمار فدخل البلد فى غدها . وأما القائد مامى والرماة فلم يدخلوا إلا صبيحة السبت . وقرأوا كتاب السلطان وأنفذوا ما أمر به فى الباشا على بن عبد الله ، وسأله القائد مامى بأموال السلطان وعذّبه فى ذلك عذابًا شديدًا حتى مات فيها حينئذ .

وأما القائد حد فقد خرج بالمحلة إلى أسغى بعد دخولهم البلد بثلاثة أيام ، وقد شتتوا الرماة الذين جاءوا مع القائد مامى المذكور فى الأرياف ، وقد التحق كل فريق بسرية من العلوج ، والأندلسى . ودفعوا مامى إلى مدينة كاغ وبقى هنالك إلى أنْ مات .

وسبب خروج القائد حد بتلك المحلة ، ما بلغهم من خبر دند فارى جاء بغزو من عند إسكيا الأمين مُتوجهًا إلى ناحية بلد كب ، ثم بعث له هنبر كى مرسولاً ،

وأمره أنْ يرجع بجيش إسكيا ، لأنه مرض مرضًا مخوفاً ، فرجع وبقى القائد حد هنالك حراساً حتى فاض ماء البحر .

وفى شهر جمادى الأخير رجع الباشا عمار إلى مراكش مع الأمين القائد عامر بن الحسن عزيزًا مُكرمًا بلا محنة ولا بلاء التى نالت كل منْ تولى ذلك المقام بعده ، وبقى القائد محمد بن أبى بكر أميناً فى تنبكت . وفى شهر رجب خلع الجيش الباشا أحمد بن يوسف ومكث فى الولاية سنة كاملة ، وأربعة أشهر .

وفى هذا الشهر تولى الباشا حد بن يوسف باتفاق أولئك الجيشَ . وفيه تُوفى إسكيا الأمين المذكور ، وتولى مقامه الإسكيا داود فى دند . ثم رجع الباشا حد بالمحلة من ذلك المكان إلى تنبكت فى ذلك الشهر ، فكان والياً ، مُباركاً ، ميموناً ، وكانت أيامه غرة منيرة . فحرر الناسَ من عشور الكنى [1] فى هذا العام لأجل ما بقى عليهم من مضرة ذلك الغلاء ، فكان فرحًا عظيمًا بين المسلمين .

وفى أوائل شهر شوال فى هذا العام طلع نجمٌ ذو دنب فابتدأ أولاً . طلع مع الفجر ، ثم بقى يرتقى حتى توسط فى السماء بين المغرب والعشاء إلى أنْ غاب . وفى ليلة الثلاثاء الحادية والعشرين من مُحرّم الحرام عام الثامن والعشرين والألف وقع البحر فى معدك ، وهو يوم التاسع والعشرين من دجنبر . وفى سلخه توفى الباشا حد، ودُفن فى مسجد محمد نض ، ومكث فى الولاية سبعة أشهر .

وبهذا التاريخ توفى الباشا محمد أحمد الماسى باتفاق الجيش فعزل إسكيا بكر كنبو ابن يعقوب بن الأمير إسكيا الحاج محمد ، ومكث فى الولاية اثنى عشر عاماً وولى فرفور ولاية إسكيا الحاج ابن أبى بكر كيشع بن الفك دند ، ابن عمر كمزاغ . وقبض الباشا أحمد بن يوسف وسجنه ولبث فى السجن إلى أنْ مات .

وولى يوسف بن عمر القصرى قيادة جنى بعدما أخذه وسجنه فى تنبكت ، ثم قيد ابن أخته مبارك على السرية الفاسية ، ولما تمكن فيها أراد قتل خاله ففطن له وبادر به فأسقاه سُماً قاطعاً ، فمات من حينه ، واطلع أحمد بن على الدرعى قائد أعلى السرية الفاسية ، وهو بشوظ يومئذ .

فقيض الله تعالى هوانه وهلاكه على يده ، فقبضه القائد حم بن على المذكور مع وزيره الكاهية محمد كنبكل الماسى ، وسجنهما إلى أنْ قتلا شرَّ قتلة بعد أنْ مكث فى

---

(١) عشور الكنى : ضريبة تُفرض لغرض تسليح الجيش .

الولاية ثلاث سنين من غير شهر واحد ، وفى السجن ثلاثة أشهر ومدته فى الولاية مع مدة إسكيا الحاج سواء .

فتولى القائد حم بن على الدرعى مرتبه يوم قبضه ، وهو يوم الأربعاء التاسع عشر من ذى الحجة الحرام مُكمل العام الثلاثين وألف ، ولم يدخل فى التبشات ، ولم يسكن فى الدار العالية ، بل ابتنى دارًا أخرى فى القصبة وسكن فيها .

وفى أواخر الصفر فى العام الحادى والثلاثين بعد ألف بعث للقائد يوسف بن عمر القصرى فى مدينة جنى ، فأمره بالمجيء إليه فى تنبكت ، ويريد أنْ ينتقم منه لأمر وقع بينهما قبل .

فخرج هو من جنى صبيحة الاثنين الخامس من الربيع النبوى مُلبياً دعوته ، وفى يوم الخميس عشر منه وصل تنبكت فلم يرض أنْ يراه ، حتى تلفظ بمقدار يعطيه من المال فى إرضائه على لسان المرسول بينهما ولم يقبل .

فى ليلة الجمعة السادسة عشر منه بقدرة منْ له القدرة ، والإرادة ، والحوْل ، والقوة قتل القائم حم المذكور فى المسجد وهو يصلى العشاء الآخرة خلف الإمام فى الركعة الثانية فى حال السجود ضربة واحدة بالمدفعة من أهل ماسنة أصحاب الباشا محمد الماسى ، وهم جماعة كثيرة تعاهدوا معه خُفية على قتله فى تلك الليلة على لسان المرسول بينه وبينهم .

أما القاتل فقد هرب ونجا ، وقبض واحدٌ من الذين حضروا عند الواقعة ، وقتل عند باب المسجد خارجًا ، واتفق كبراء الجيش على قتل الباشا محمد الماسى ، والكاهية محمد كنكل وقتلا ساعتئذ ، وعلق رأسهما فى السوق غداً . واتفقوا أيضاً على القائد يوسف المذكور وولوه مقامه ساعتئذ . فسبحان الله القوى ، القادر ، الذى يكفى عبده كيف شاء ، وبما شاء . واجمع النفر الثلاثة فى الدار الأخرى فى تلك الليلة.

وحين تولى القائد حم بن على عزل إسكيا الحاج وولى إسكيا محمد بنكن بن بلمع محمد الصديق بن الأمير إسكيا داود بعدما صرف له فى تندرم بالمجيء ، فجاء فى فور ولايته ، ومكث القائد حم فى الولاية ثلاثة أشهر .

وفى يوم الجمعة السادس عشر من الربيع النبوى فى العام الحادى والثلاثين والألف تولى القائد يوسف بن عمر القصرى المرتبة العلية باتفاق الجيش كلهم ، فسار بسير القائد حم بالتسمى بالقيادة والسكنى فى الدار التى ابتنى فيها فكان والياً مباركاً ، وأيامه

غرة مُنعمة ذات بخت وسَعة ورخاء ، وخصب فكيفما تولى بعث ملوك بن زرقون إلى جنى يكون قائدًا فيها .

ومكث فيها هنالك عامًا كاملاً فعزله ، فبعث فيها القائد إبراهيم بن عبد الكريم الجرارى ، ومكث فيها عامين كاملين ، فسعد بذلك المكس [1] وجمع فيها أموالاً كثيرة ، وتخلص من جميع ما يلزمه فى ذلك من اللوازم ، والعوائد على أحسن الأحوال ، ثم ولاها الحاكم على بن عبيد .

وفى يوم السبت الثالث والعشرين من رمضان ، فى العام الثانى والثلاثين بعد ألف دخل القائد عبد الله بن عبد الرحمن الهندى مدينة تنبكت ، وهو قائد ينب يومئذ، دخلها عند طلوع الفجر مع أصحابه يطلب الولاية ، والشيخ على الدراوى أمين السلطان على قبض غرامة تفازمو ، الذى دعاه وحمله على ذلك فلم يوافقه عليه القائد محمد بن أبى بكر الأمين ، وكبراء الجيش وأخرجوه من البلد ساعتئذ كرهاً .

فخرج الشيخ على الدراوى مع أهل سريته من العلوج ، ومنْ تابعهم من غير أهل سريته ، ونزلوا فى مرسى كبر ، وبعثوا لإخوانهم الذين كانوا فى مدينة جنى فجاءوا فوفقوا على المقاتلة ، فأرسل لهم ولى الأمر القائد يوسف الفقهاء والشرفاء فى الصلح فأبوا فجهز إليهم القائد يوسف ، والأمين القائد محمد بن أبى بكر الجيش الذين معهم .

فالتقوا يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شوال فى العام المذكور ، فاقتتلوا ومات بينهم من الفريقين منْ قدر الله وفاء أجله ، ولم يظفر بالمراد فرجع إلى ينب ، وتبعه على الدراوى .

ثم جاء القائد محمد الكلوى الماسى قائد جيش كاغ يومئذ إلى ولى الله تعالى الشيخ المنير ، وطلب منه أنْ يمضى معه إلى تنبكت عند القائد يوسف ويُصلحا بينه وبين القائد عبد الله فقدما وأصلحا بينهما . وحضر القائد عبد الله المذكور ذلك الصلح فأصلحا ورجع لبلده ينب وأدرك الشيخ على مات بعده ، وقيل إنه أسقى نفسه السم، فمات والعياذ بالله .

وبقى القائد عبد الله هنالك ساكناً إلى بعد ذهاب الباشا على بن عبد القادر إلى توات، صرف فيه وكيله أخوه القائد محمد العرب ، فجيء به غدرًا إلى تنبكت ،

---

(١) المكس : الضرائب التى تُفرض على التجارة .

وضُرب عنقه ليلة الولادة وعُلق فى السوق . وقيل : الباشا على هو الذى أمر بقتله .

وفى عشرين يومًا من شعبان فى العام السادس والثلاثين والألف عزل القائد يوسف من الولاية ، ومكث فيها خمس سنين وخمسة أشهر ، فتولاها القائد إبراهيم بن عبد الكريم الجرارى باتفاق الجيش كلهم فسكن فى دار القيادة . وفى هذا الشهر الذى تولى فيه عزل الحاكم على بن عبيد من حكومة جنى ، وولاها سيد منصور بن الباشا محمود لنك حاكمًا .

وفى شهر جمادى الأول فى العام السابع والثلاثين والألف ورد مرسول السلطان مولاى عبد المالك بن مولاى زيدان بخبر ولايته ، وخبر وفاة أبيه . فوردت نسخة ظهِيره الذى جاء صحبة مرسوله مدينة جنى يوم الخميس الرابع من جمادى الآخرة .

وفى يوم الخميس الحادى عشر منه صار القائد إبراهيم الجرارى باشا فى تنبكت ، ورجع إلى الدار العالية فهان وضعف فى ولايته ، ويفعل أدنى الناس من الرماة فى الرعية داخلاً وخارجًا ما شاء ، وأحب ولا نرى ناهياً ولا منكرًا ، فتعدوا وبغوا وسعوا فى الأرض فسادًا .

وفى ليلة الثلاثاء الثالث عشر من شعبان فى العام المذكور تُوفى الحاكم سيد منصور بن محمود فى جنى . وفى سلخه انعزل الباشا إبراهيم الجرارى ، ومكث هذا سنة واحدة فى ولايته ، وذلك سنة واحدة فى حكومته .

وقد تبَرم حبل عزلانه [1] فى كاغ لما مضى عندهم الكاهية على بن عبد القادر فى الصلح بينهم وبين الجرارى ، حيث أعطى ماله الذى أفاده فى جنى للجيش الذين كانوا بتنبكت ، ولم يعط أهل كاغ منه شيئاً فغضبوا عليه .

ومشى على بن عبد القادر إليهم ليصلحوا بينهم ، فتعاهدوا معه على تولية التبشات [2] ، فرجع لتنبكت وراود أهلها بها فقبلوه وولوه باشا فى رابع رمضان فى العام المذكور ، فكان سيف الله مسلولاً فى المتعدين الباغين فى أيام الباشا إبراهيم الجرارى ، فأهانهم وأذلهم وقتلهم وصاروا لازمين بالجوامع وديار الصالحين مُختفين خوفًا ورعباً فضاقتْ عليهم الأرضُ بما رَحُبت .

---

(١) تبرم حبل عزلانه : تعبير يُقال عند اتحاد الأعداء ضد شخص ما .

(٢) التبشات : أى تولى رتبة الباشوية .

ومكثَ فى الولاية أربع سنين وخمسة أشهر ، وفى أيامه تُوفى الباشا عمار بن عبد المالك فى مراكش ، رحمه اللهُ بمنِّه ، فحين تُوفى تولى على بن عبيد المذكور أيضاً حكومة جنى فى ذلك رمضان ، ولبثَ فيها سبعة أشهر .

وفى شهر ربيع النبوى فى العام الثامن والثلاثين والألف عزله لمغاضبة وقعتْ بينهما ، وأمر المعزول القائد يوسف بن عمر أنْ يتولى الحكومة بجنى فلم يقبلها ، ودله على ملوك بن زرقون فولى القيادة بجنى بهذا التاريخ .

ثم جعل الباشا إبراهيم الجرارى عاملاً على قبيلة سفتير فمضى إليهم ، وقبض زنكل متاعهم ، قصد بذلك إهانة له وتصغيرًا ، فلما رجع عزل ملوك بن زرقون من تلك القيادة وجعله فيها ، فعن قليل مات بغيظ ، قيل : إنه دعا على نفسه بالهلاك فى روضة الولى الفقيه محمود فودى سانوا ، والدعاء مستجابٌ فيها ، رحمه الله ونفعنا به.

وسبب ذلك أنه بعث له سيفًا ، يُحلّى بالذهب فقال له لا يستحق بهذا السيف إلا أنت المحب للدنيا ، فبكى ودعا على نفسه بالهلاك ، وقال : ما هذا إلا شماتة منه واستهزاء ، ثم رد ملوك بن زرقون المذكور فيها إلى أنْ عُزل وقُتل .

وفى يوم السبت السابع من جمادى الأول فى العام الثامن والثلاثين والألف قُتل الأمين القائد محمد بن أبى بكر صبرًا فى السوق ، وعلقه فيه بأمر السلطان مولاى عبد المالك بعد ما سُجن وقتل .

وتولى موضعه الأمين القائد يوسف بن عمر القصرى بأمره ، لأنه كتب فيه أنْ يقتل شر قتلة لما ظهر فيه من الغش والخيانة له ، وقد عزم هو على قتل القائد يوسف لما تحاسب معه فى الأموال التى تولاها فى ولايته ، فعذبه عذابًا شديدًا فى السجن ، ويريد قتله .

فلما فطن لذلك أهل سريته المراكشيين حالوا بينه وبينه حتى يكتبوا للسلطان بذلك ، فلما ردّ لهم الجواب أمر بقتله شرّ قتلة ، وأنْ يتولى القائد يوسف موضعه ، فحضر قتله ساعتئذ فى السوق مُكتفاً وهو راكبٌ على حصانه ، فبان فيه الرعب والجزع ، فقال له القائد يوسف : يا سيد محمد رد بالك مع الله ، ما عليك إلا الصبر ، فلما ضرب عنقه صاح يا أماه فتوفى ، ثم نزل وجهز وصُلى عليه ودُفن فى مقابر الجامع الكبير .

وفى شهر رمضان من العام المذكور غزا إلى ماسنة ، وذلك أنه لما تُوفى توفى بقرب فندنك سلامع وتولى ابن أخيه حمد آمنة فى ذلك بعث له الباشا أنْ يَقدُمَ إلى تنبكت ليوليه فيها فأبى وامتنع .

ولذلك غزا إليه فجاءهم فجأة ، فهرب منه فندنك حمد آمنة بجمع أناسه ، ولم يقدر أنْ يتبعهم لأنه وقتُ الصيف ولم يجئ فى قوة ومتنة ، فجاز على حاله إلى مدينة فوصلها ضحوة السبت الخامس والعشرين من الشهر المذكور .

واستهل عليه فيها رمضان بالأربعاء . وفى ضحوة الخميس الثانى منه دفع إلى ماسنة أيضاً ، ورجع إليهم فلم يظفر بهم . ومن ثم رجع إلى تنبكت فى الشهر المذكور بلا مغارة ، ثم اصطلحا .

وفى يوم الاثنين آخر يوم من المحرم الحرام فاتح العام التاسع والثلاثين والألف ، جاء عمر بن إبراهيم العروسى إلى تنبكت ، فخرج إليهم الباشا على بن عبد القادر ، والتقى عند الأحراث وراء الفندرية بقليل فقتله وقتل عمر المذكور مع عَبْدِهِ بلال ، فانهزم أصحابه وولوْا مُدبرين وحُمل على الجمل ، فعُلق فى السوق يومئذ .

فبعث بكفه إلى مدينة كاغ وبرأس العبد إلى جنى ، ثم رجع والده إبراهيم العروسى مع بقية أولاده وجماعته إلى النبكة التى وراء المدينة من جهة المغرب فنزلوا عليها وضرب قباءه السوداء فيها ، فأخذوا هنالك ما أخذوه من الأيام ، ثم ارتحلوا ورجعوا إلى ولات خائبين مخذولين ، ثم بعث القائد ملوك بجنى أنْ يقبل منه حمد آمنة صاحب ماسنة ، مطلب زنكل لأجل هذا الصلح .